

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/23

تاريخ الاستلام: 2025/03/03



خصائص منظومة البديع لابن معطي: التعليمية والنظم والمصطلح

رضا رافع

r.rafa@univ-boumerdes.dz

جامعة امحمد بوقرة بومرداس / الجزائر

Characteristics of Ibn Muati's Poem of rhetoric: Didactics, Versings and Terminology

REDHA Rafa

r.rafa@univ-boumerdes.dz

Université M'Hamed Bougara

Boumerdés / Algeria

ملخص البحث

يعد ابن معطي الزواوي رائدا في فن المنظومات الشعرية، ومنظومته البديع في علم البديع منظومة متفردة تشهد للرجل بالتمكن في فنه، والمطلع عليها يلمح تجليات الإبداع من ثلاثة جوانب: التعليمية وخصائص النظم والمصطلح، ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف مظاهر الإبداع فيها انطلاقا من هذه الجوانب الثلاثة، من خلال تنويعه في بحور الشعر واستعمال اللغة البسيطة التي تسهل الحفظ على المتلقي، كما تخصص الدراسة جانبا لدراسة المصطلحات البلاغية من حيث طريقة الربط بين المصطلح والمفهوم والشاهد، ومن هنا فمنظومة البديع منظومة تعليمية بامتياز لها خصائص متفردة في النظم والمصطلح.

الكلمات المفتاحية: البديع، ابن معطي، التعليمية، النظم، المصطلح.

ABSTRACT:

Ibn Muati Al-Zawawi is viewed as a pioneer in the art of poetic poems. His poem "The Marvelous in the Rhetoric Science" is a unique poem that testifies to the man's mastery of his art. Besides, anyone who reads it will notice the manifestations of creativity from three aspects: educational, characteristics of the poem, and terminology. Hence, this study seeks to explore the manifestations of creativity in the poem, based on these three aspects, and through his diversification in the poetic meters and the use of a simple language that facilitates memorization for the recipient. The study also devotes a section to studying rhetorical terminology in terms of the method that links the term, the concept, and the witness. Therefore, the poem of Al-Badi' (The Rhetoric) is exquisitely an educational poem with unique characteristics in the poem and terminology.

Keywords: Al-Badi' (Rhetoric) - Ibn Muati - educational - versings - terminology.

1. مقدمة:

يعد يحيى بن معطي الزواوي المتوفى سنة (628هـ) من أشهر علماء مدينة بجاية في القرن السابع للهجرة، وقد عرف بغزارة علمه، فهو شاعر وأديب، وإمام زمانه في العربية، اشتهر بالتفوق في فن المنظومات التعليمية، وأشهر ما نظم في علم النحو منظومته: الدرة الألفية في علم العربية، وكان ذلك سنة (595هـ)، كما عرف عنه كذلك تأليف منظومة في علم البلاغة سماها؛ منظومة البديع في علم البديع، على أن منظومته في النحو شاعت أكثر من منظومته في البلاغة، ومن هنا ارتأيت أن أعنون هذه الورقة: خصائص منظومة البديع لابن معطي: التعليمية والنظم والمصطلح.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن جوانب أساسية في المنظومة وهي: المصطلح والنظم والتعليمية، وهي جوانبٌ كفيفة بإمالة اللثام عن فكر ابن معطي في بناء منظومته البلاغية، وعن ملامح الإبداع فيها بوصفه من أوائل علماء العرب في هذا الفن، واخترت منظومة البديع لقيمتها الفنية من حيث خصائص النظم، ومن حيث القدرة على الإبداع وربط الشاهد بالنظم من أجل تحقيق كفاءة المتعلم في قدرته على الحفظ والاستشهاد، يضاف إلى هذا أن منظومته في البديع لم تحظ بالشهرة والدراسة التي نالتها منظومته في النحو، كل هذه الأسباب والأهداف تجعل من الموضوع موضوعاً جديراً بالدراسة والاهتمام.

وتقوم الدراسة على إشكالية عامة فحواها: ما جوانب الإبداع في منظومة البديع لابن معطي؟ وتندرج تحتها إشكاليات فرعية: ما ملامح التعليمية في المنظومة؟ هل استطاع ابن معطي أن يخط فيها خط الإبداع والتجديد من حيث النظم والمصطلح؟

جميع هذه الإشكاليات يسعى البحث إلى الإجابة عنها، وفق منهجين بارزين: منهج وصفي يكمن في دراسة مصطلحات المنظومة من جانب التجديد والتقليد، ومنهج تحليلي أتناول فيه جوانب النظم والعروض والأوزان واللغة، وكيف يسهم هذا النظم في جعل المتلقي يتفاعل مع أبياتها وشواهدا المبتوثة في المتن حتى يتمكن من حفظها، وترديدها في مواطنها دون شعور منه بالسأم أو الملل.

2. ملامح التعليمية في منظومة البديع لابن معطي:

ينهج ابن معطي الزواوي (يعلى، 2005، صفحة 132) في منظومته البلاغية نهجا تعليميا خالصا، من خلال اتباع منهجين واضحين وهما المزوجة بين مصطلحات البلاغة والشاهد الشعري، واستعمال اللغة الواضحة من أجل تيسير عملية الحفظ.

1.2. المزاجية بين مصطلحات البلاغة والشاهد الشعري:

زواج ابن معطي بين نظمه لمفاهيم المصطلحات البلاغية والشاهد الشعري، من أجل تيسير فهم الدرس البلاغي، ومن هنا تظهر سمات الجانب التعليمي في المنظومة، التي تعد شكلا من أشكال تقريب المعرفة وتحديددها إلى طلاب العلم بحيث تجمع إلى الوجازة التثويق والسهولة (معطي، 2014، صفحة 15).

والمطلع على المنظومة يجد أن ابن معطي يرفق كل مصطلح بلاغي بشاهد يخصه لتقريب مفهومه إلى ذهن المتلقي، كما أنه يقرن مفهوم مصطلحات البلاغة بما يناسبها من شواهد شعرية، وهو في ذلك يركز على الشواهد الشعرية المعروفة والتي ترتبط بعيون قصائد الشعر من مختلف الأزمان، حتى يفي المصطلح حقه من التوضيح الذي يناسب الغاية التعليمية من المتن وهو في ذلك يستخدم عبارات كثيرة التردد في منظومته خاصة في مطالع كل مصطلح بلاغي ومن هذه العبارات نجد: (فهاك، وهاك) (معطي، 2014، صفحة 98، 108، 117)، والصيغة صيغة اسم فعل أمر بمعنى: خذ، وهذه الصيغة قد تكررت في المنظومة واحدا وثلاثين (31) مرة، وأحيانا نجده يتوجه إلى المتلقي بأفعال الأمر (معطي، 2014، صفحة 142، 152)، وكأنه بذلك يقيم حوارا مع متلقي مفترض ليشد انتباه المتعلم أو القارئ لما سيقوله حول المصطلحات البلاغية، وأحيانا يفتح نظم كل مصطلح بجملة اسمية يوضح فيها مفهوم المصطلح البلاغي (معطي، 2014، صفحة 172، 179)، أما الجملة الفعلية فقد استعملها مرة واحدة في خضم حديثه عن مصطلح المذهب الكلامي (معطي، 2014، صفحة 123)، وبهذا يظهر أن فواتح الأبيات غلب عليها الأسلوب الإنشائي على الخبري، لأن الناظم يسعى إلى إقناع المتلقي وإخضاعه لإرادته ولفت انتباهه، لهذا يكون "توجيه الخطاب إلى الآخر يمر بالبنيات الإنشائية، وهذه البنيات تشير إلى علاقة القوة التي تجمع المتكلم ومخاطبه" (كليطو، 2006، صفحة 92)، أي أنها تشير إلى علاقة المعلم بالمتعلم، على أن ابن معطي استعمل لغة سهلة في معظمها واضحة خالية من اللفظ الغريب، أما جملة فكانت جملا موجزة مؤدية للغرض دون نقص أو خلل، وهذا ما يساعد المتعلم على حفظها واستحضار شواهد كلاً ما دعت الحاجة دون عناء خصوصاً أن ابن معطي يقرن البيت المنظوم بالشاهد المتعلق بالمصطلح، ولك أن تتأمل على سبيل التمثيل قوله في باب تجاهل العارف (معطي، 2014، صفحة 244):

تَجَاهُلُ عَارِفٍ وَافِي زُهَيْرٍ بِهِ فَاجَادَ فِيهِ مَا يَشَاءُ

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ أَخَالُ أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

وهذه البراعة الكبيرة في النظم تجلت في ربط الأبيات المنظومة مع شواهدها من عيون الشعر العربي بيسر دون تكلف أو تعقيد، مما يجعل القارئ في موقف المتفاعل معها دون ملل، مع ما يضيفه

عليها من عنصر التشويق، فكّما ذكر صاحبها بيتا منظوما انتظر المتلقي الشاهد الشعري بشغف، ومن هنا تتضح لنا قدرة ابن معطي على المزاجية في درسه البلاغي بين التنظير والتطبيق.

2.2. استعمال اللغة السهلة الواضحة :

اعتمد ابن معطي في بناء منظومته العروضية على اللغة السهلة الواضحة الخالية من اللفظ الغريب لاستمالة المتلقي وتسهيل عملية الحفظ، ولتحقيق هذا الأمر مال إلى الصناعة اللفظية من خلال الاستناد إلى المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، مستثمرا في ذلك الأثر الذي يحدثه المحسن اللفظي الذي يضفي نغمة وجرسا موسيقيا تطرب له أذن السامع، وهو جرس يبقى عالقا في ذهن المتلقي، يضاف إلى ذلك المحسن المعنوي كالطباق الذي يجعل المتلقي مشدود الذهن مهتما بتضاد المعاني مترقبا له، ومن المحسنات البديعية التي دجّج بها ابن معطي منظومته، نجد التصريح الذي افتتح به المنظومة (معطي، 2014، صفحة 97)، ونظمه على وزن الطويل:

يقول ابن معطٍ قلت لا متعاطيا مقالة من يرجو الرضا والمغانيا

فهذا التصريح الواقع بين لفظي: (متعاطيا، المغانيا)، يخلق إيقاعا موسيقيا في فواصل أواخر الكلمتين، فيساعد المتلقي على الحفظ، من خلال التّرمز بالمقاطع الصوتية الناتجة عن موسيقى التصريح وإيقاعه، "فلإيقاع تأثير إيجابي على المتعلم وهو منبه للحواس ومثير للخيال" (جلولي، 2005، صفحة 191).

ولم يتوقف ابن معطي عند هذا المحسن فقط، بل نجده يستعمل الجناس في نظمه لمفهوم مصطلح الغلو، ومنه كذلك الطباق وهذا في نظمه لمفهوم مصطلحات بلاغية عديدة نذكر منها: (باب التّميم، باب تجاهل العارف، باب الطباق، باب المشاكلة، باب الهزل...).

3. خصائص منظومة البديع:

تتميز منظومة البديع لابن معطي بخصائص عديدة تميزها عن المنظومات السابقة واللاحقة، خاصة ما تتعلق منها بجوانب علم العروض، والمتعلقة أساسا بالميزان العروضي لها، والمختلف عما ألفه أصحاب المنظومات من جانب بحور الشعر وقوافيه على النحو التالي:

1.3. التنوع في استعمال البحور الشعرية في المنظومة:

استعمل ابن منظور في منظومته ثمانية وأربعين (48) مصطلحا بلاغيا وهي تخص البديع والبيان والمعاني، وقد نوّع في استعمال بحور الشعر من مصطلح لآخر على النحو الآتي:

-بحر الطويل: استعمله في منظومته واحدا وخمسين مرة (51) في المصطلحات التالية: الطباق- الجناس- الاستعارة- الإلغاز- المقابلة- الموازنة- الإرداف- المساواة- الإشارة- الغلو- الإيغال- ردّ الكلام- المماثلة-

التكميل- الكناية والتعريض- السلب والإيجاب- الاستدراك- التذييل- الاستثناء- التصحيف- براعة الاستهلال- التريديد- المؤتلف والمختلف- التبيين- المذهب الكلامي- التسميط- التضمن- الهزل المراد به الجد- التنبيه- الموارد- المواربة).

-بحر الكامل: استعمله سبعة عشر مرة (17)، وذلك في المصطلحات التالية: الالتفات- براعة التخلص- لزوم ما لم يلزم.

-بحر البسيط: استعمله اثني عشر مرة (12)، وذلك في المصطلحات التالية: صحة التقسيم- الترصيع- التفرع - المشكلة.

-بحر الوافر: استعمله في منظومته أربع مرات (04)، في المصطلحات التالية: المبالغة- التّميم- التفويف- تجاهل العارف .

-بحر الخفيف: استعمله مرتين في مصطلحين هما: التّسيم- العكس والتبديل.

-بحر المتقارب: استعمله مرتين كذلك في مصطلحين: التّكافؤ- الزيادة.

-بحر الرجز: استعمله مرة واحدة فقط في مصطلح: التريديد.

-بحر السريع: استعمله مرة كذلك في مصطلح: الالتفات.

إنّ أكثر البحور استعمالاً في منظومة ابن معطي بحرُ الطويل، يليه بعد ذلك بحر البسيط والوافر والخفيف والمتقارب والرجز والسريع، وقد عهد أرباب المنظومات التعليمية النظم على بحر الرجز؛ لأنّه بحرٌ طيّع يتسع لشتى أغراض الشعر الوجداني والتعليمي، فهو بحر سهل النظم، منظومه سهل الحفظ، وقد غالى بعضهم فسماه حمار الشعر (إميل، 1991، صفحة 119)، وهذا لسهولة النظم عليه، ولم يَألف النظامُ النظمَ على سائر البحور وما قام به ابن معطي يعد تفرداً.

2.3. التنوع في قافية المنظومة: كما نوع ابن معطي في مقاطع القافية على النحو التالي:

الجدول 1: (أنواع القافية في المنظومة)

مقطع القافية	نوعها	عدد استعمالها
[0//0/]	المتدركة	47
[0/0/]	المتواترة	45
[0///0/]	المتراكبة	09
[00/0/]	المترادفة	02

قد يتساءلُ المطلع على المنظومة عن سبب تنوع صاحبها في استعمال بحور الشعر العربي وعن التنوع في استعمال القوافي، وعن الغاية من هذا التنوع، ومردُّ الأمر يعود إلى طبيعة الشاهد الذي

اتخذه ابن معطي أنموذجا لتبيين مفهوم كل مصطلح بلاغي، فهو ينظم بيته انطلاقا من بحر الشاهد ومن قافيته كذلك، فتنوع القوافي نابع من تنوع قوافي أبيات الاستشهاد فإن كان الشاهد الشعري من الطويل مثلا ينظم بيت المنظومة على الطويل، وإن كان الشاهد مختومة بقافية متداركة، كان النظم كذلك، بنفس القافية وبنفس حرف الروي، وبنفس بحر الشعر، ولنتأمل مثلا نظمه في باب الترصيع (معطي، 2014، صفحة 169)، ونظم فيه على وزن الطويل:

وَهَاكَ أَمْثَلَةُ التَّصْرِيعِ آتِيَةً بِالسَّجْعِ فِي الْحُسْنِ وَالتَّعْمِيمِ مَصْحُوبُ

الْمَاءُ مُهْمَزٌ وَالشَّدُّ مُنَحْدِرٌ وَالْقُصْبُ مُضْطَمِرٌّ وَالْمَتْنُ مَحْلُوبٌ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْخَنْسَاءِ حِينَ بَدَى تَرْصِيعُهَا عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فالمتن (النظم والشاهد) من بحر البسيط، والقافية جاءت متواترة مطلقة [0/0/]; وحرف رويها الرّاء المضمومة وقبلها حرف الردف وقد نوع فيه بين حرفي (الواو والألف)، فلمّا كان الشاهد الشعري الخاص بامرئ القيس والخنساء من وزن بحر الطويل جاء نظمه على بحر الطويل، ولناخذ كذلك قوله في مصطلح السلب والإيجاب، الذي نظمه كذلك على وزن الطويل:

وَهَاكَ وَفِي الْإِيجَابِ وَالسَّلْبِ مَا تَرَى بِهِ الدُّرُّ فِي سِلْكِ النَّظَامِ يَجُولُ

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

فالبيتان الأول نظم، والثاني شاهدٌ لشاعر جاهلي هو السّمّوأل، وكلاهما من نفس البحر، وهو بحر الطويل، قافيتهما واحدة جاءت متواترة [0/0/]، لأنها تنتهي بسبب خفيف (0/)، رويها اللام المضمومة فهي قافية مطلقة، وقبلها حرف الردف؛ وهو حرف الواو.

وهكذا سار في نظمه في سائر مصطلحات منظومة البديع منوعا من مقاطع القافية، وحروفها، وهذا التنوع يسهل عملية الحفظ عند المتعلم لأنّه يخرجها من الرتابة إلى التنوع، تنوع في بحور الشعر وفي قوافيه وفي شواهد، لإبعاد الملل عن المتلقي.

والملاحظ أن ابن معطي ينوع في شعر الشعراء من شعراء الجاهلية كامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى والأعشى والخنساء إلى المخضرمين كالنابغة الجعدي وحسان بن ثابت، وصدر الإسلام كالحطيئة والنمر بن تولى والشمّاخ بن ضرار، والعصر الأموي كعمرو بن أبي ربيعة وشعراء النقائض كجرير والفرزدق، والعباسي من أمثال البحتري وأبي تمام وبشار بن برد وابن الرومي... وهذا ما يضفي على المنظومة نوعا من التعدد وشيئا من الشمولية، فهي بحق موسوعة شعرية انتخب فيها روائع الأبيات لفحول الشعراء من كل عصر، ولاشك أن هذه المفضليات من الأبيات الشعرية تغني المتعلم وتمده

بثقافة شعرية كبيرة، وهذا يعد جانباً هاماً في التعليمية، خصوصاً وأن بعض الطلبة يفتقرون لمزية حفظ الشعر.

4. المصطلحات البلاغية في المنظومة البديعية:

إنّ المطلع على منظومة البديع لابن معطي يجدها روضةً غنّاء، تمازجت فيها مصطلحات البلاغة، فبعضها يخص مصطلحات علم البديع وهو الغالب على تظم المنظومة، وبعضها يخص علم البيان، والآخر يخص علم المعاني، ومن هنا وظف ابن معطي مصطلح البديع في العنوان ويقصد به البلاغة بكل أفاقها مع تغليبها للبديع على باقي الفنون البلاغية الأخرى.

والظاهر أنّه ابن معطي ذكر هذه المصطلحات سيراً على ما ذكره قبله الخطيب التبريزي المتوفى سنة (502هـ) في مؤلفه: كتاب الوافي في العروض والقوافي، حتى أننا نجد ترتيب المصطلحات في منظومة البديع يكاد يتطابق مع ما ذكره التبريزي في كتابه، والفرق بينهما من أوجه:

- بدأ ابن معطي منظومته بمصطلح الطباق، والتبريزي بدأ به كذلك وسمّاه التطبيق إلا أنه بعد استرساله في الشرح والتوضيح يسميه الطباق.

- لم يتحدث ابن معطي في المنظومة عن مصطلحي القسم والإعانة، والتبريزي ذكرهما في كتابه.

- استعمل ابن معطي مصطلح لزوم ما لم يلزم، وهو مصطلح لم يذكره التبريزي في كتابه.

- استعمل التبريزي مصطلح جمع المؤنث والمختلفة، واكتفى ابن معطي بمصطلح المؤنث والمختلف، وهو اختلاف يسير.

وسنحاول الوقوف عند بعض المصطلحات البلاغية عند ابن معطي للتمثيل لها.

1.4. التّسهيّم والتّوشيح:

استعمل ابن معطي مصطلح التّسهيّم بمعنى التّوشيح فقال فيه على وزن الخفيف:

واستمع للتّسهيّم وهو يُسمّى أيضاً التّوشيح الذي فيه قيلاً

فالمصطلحان مترادفان عنده، غير أنّ بعض أصحاب البلاغة يفرقون بينهما، وهو تفريق خلاف بين العلماء حول حقيقة المصطلح من حيث دلّالته، فما يسميه قدامة بن جعفر (ت337هـ) توشيحاً، يسميه آخرون تسهيماً (الناقوري، 1982، صفحة 394)، وأبو هلال العسكري (ت395هـ) يسميه التبيين، وسمّاه ابن الأثير الإحصاء، وأياً كان المصطلح توشيحاً أو تسهيماً أو تبييناً أو إحصاءاً، فهو يعني جعل قبل آخر الفقرة أو البيت ما يفهمهما عند معرفة الرّوي، فهو من البديع المحمود الصنعة، فإنّ خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض (حبنكة، 1996، صفحة 385، ج2).

2.4. التّرديد:

استعمله مصطلح التريد (معطي، 2014، صفحة 213) مخالفاً بذلك التبريزي، فقال فيه على وزن الطويل:

وَهَاكَ وَفِي التَّرِيدِ مَا قَالَ مَنْ أَتَى بِلَفْظٍ وَفِي ثُمَّ عَادَ يُطَالِبُهُ
بِمَعْنَى سَوَى الْمَعْنَى الْمَقْدَمِ ثُمَّ قَدْ يُسَمِّيهِ أَيْضًا بِالتَّعْطُفِ جَالِبُهُ

على أن كثيراً من علماء البلاغة سموه بمصطلحين: التريد والتعطف، وهو من باب الترادف المصطلحي، إلا أن ابن معطي اقتصر على مصطلح واحد، تفادياً للتعدد المصطلحي مادام أنه في سياق تعليمي خالص.

3.4. العكس والتبديل:

وهما مصطلحان بمعنى واحد، قال فيهما على وزن الخفيف (معطي، 2014، صفحة 178):

وَحُذِّ الْعَكْسُ ثُمَّ تَبْدِيلُ قَوْمٍ فِي مِثَالٍ أَسْرَ أَدْنَا وَعَيْنَا

ومعنى المصطلح أن يعكس الكلام فيجعل في الجزء الأخير منه ما كان في الجزء الأول، محدثاً نوعاً من أنواع الإيقاع الصوتي، وهذا بذكر العكس ثم تبديله.

4.4. التّصحيف:

وهو من المصطلحات التي ذكرها التبريزي، وأخذها عنه ابن معطي، ويعد التصحيف لونا من ألوان المحسنات البديعية اللفظية، فقال فيه (معطي، 2014، صفحة 207):

وَهَاكَ وَفِي التَّصْحِيفِ مَا رَاقَ لَفْظُهُ فَبَانَتْ بَيْتِ الْبُحْتَرِيِّ عَجَائِبُهُ
فَلَمْ يَكُنِ الْمُغْتَرُّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى لِيُعْجِزَ وَالْمُغْتَرُّ بِاللَّهِ طَالِبُهُ

والتّصحيف في مفهومه يعني الجناس الناقص، وقد سمّاه ابن سنان (ت466هـ): مجانس التّصحيف، ومثل له كذلك بيت البحتري (الخفاجي، 1982، صفحة 199)، وتبعه أسامة بن منقذ (ت548هـ)، فقال: "اعلم أنّ تجنيس التّصحيف هو أن تكون النقط فرقاً بين الكلمتين"، واستشهد له ببيت البحتري، وبأبيات أخرى للخنساء وابن قيس الرقيات وأبي تمام (منقذ، 1960، صفحة 17)، وأطلق على هذا المصطلح تجنيس الخط، ذكره المظفر بن الفضل (ت656هـ) صاحب كتاب نظرة الإغريض في نصرة القريض، وقد كان متزامناً مع ابن معطي، فقال: "تجنيس الخطّ ويسمى التّصحيف" (الحلي، 1976، صفحة 80)، ومن هنا بعد سرد تعدد مصطلحات هذا الباب نجد أن ابن معطي يسائر التبريزي في هذا المصطلح ولا يهتم بالترادف فيه، لأن المقام مقام تعليمي بواسطة المنظوم.

5.4. براعة الاستهلال:

ويعد هذا المصطلح ضرباً من ضروب الصنعة اللفظية، وهو أن يبتدئ المتكلم بما يدل على غرضه، ومحل الاعتناء يكون بتحسين مطالع الكلام، حتى أن الخليل بن أحمد حينما سئل عن أشعر بيت قالتها العرب، فقال: "البيت الذي يكون في أوله دليل على قافيته" (ربه، 1984، صفحة 174، ج 6)، ونظم ابن معطي في مفهوم مصطلح براءة الاستهلال (المعتر، 1990، صفحة 208)، فقال فيه على وزن الطويل:

بَرَاةُ الاسْتِهْلَالِ أَنْ تَبْتَدِيَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ.

لقد اقتصر ابن معطي على تسمية هذا المصطلح براءة الاستهلال، موافقاً في ذلك التبريزي، ولم يشير إلى المصطلحات المرادفة له والتي ذكرها علماء البلاغة، فابن المعتر (ت 296هـ) سماه حسن الابتداء، فقال ممثلاً له: ومنها حسن الابتداءات، قال النابغة (معطي، 2014، صفحة 196):

كَلَيْتَ لِهَمْ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وحسن الابتداء استعمله من جاء من علماء البلاغة بعد ابن معطي بمعنى براءة التسهيل، فهذا مثلاً ابن الأثير (ت 737هـ)، في كتابه جوهر الكنز، قال عنه: "براءة الاستهلال ويسمى حسن الابتداءات وهي من نعوت الألفاظ" (الأثير، 1982، صفحة 218)، ولاشك أن بين هذين المصطلحين (براءة التسهيل، حسن الابتداء) تقارباً كبيراً، إلا أن ابن معطي أثر استعمال مصطلح التبريزي على مصطلح ابن المعتر مثلما فعل في جل مصطلحات المنظومة فهو مرجع الأول.

5. خاتمة:

في خاتمة هذه الورقة البحثية نخرج بمجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

-عنوان المنظومة البديع في علم البديع، وقد يفهم من عتبته أنها منظومة تخص علم البديع، لكن ابن معطي ذكر فيها مصطلحات بلاغية تخص علوم البلاغة الثلاثة: البديع والبيان والمعاني، إلا أن الغالب عليها مصطلحات علم البديع، فهي من باب تغليب الكل على الجزء.

-لا يكثر ابن معطي في منظومته من تعديد المصطلحات المترادفة إلا في النادر، وإن اختلف علماء البلاغة فيها، بل يكتفي بذكر مصطلح أو مصطلحين، فهو يبتعد قدر الإمكان بالمتعلم عن الاختلافات المصطلحية، وهو جانب تعليمي خالص، يحاول من خلاله الابتعاد عن فوضى المصطلحات التي قد تشتت ذهن المتلقي خصوصاً وأن عصر ابن معطي شهد بعض الجمود الفكري.

-أخذ ابن معطي كتاب التبريزي منطلقاً في دراسته البلاغية، فهو يتخذ منه المرجع الأول لتناول المصطلحات البلاغية، ولا يخرج عنه إلا في القليل النادر من خلال اعتماد ترتيبها ومصطلحاتها.

-تعد منظومة البديع منظومة تعليمية بامتياز من خلال جمع صاحبها للدرسين النظري والتطبيقي، فالنظري متعلق بجوانب النظم لتوضيح مفاهيم المصطلحات البلاغية، أمّا التطبيقي فهو متعلق بشواهد الشعر الملائمة لكل مصطلح، وهذه الخاصية في الجمع بين النظري والتطبيقي ميزة تحسب لابن معطي، لأننا لم نجد من العلماء السابقين له من قام بجمع الدراسة النظرية والتطبيقية معا في فن المنظومات.

-نوع ابن معطي في الميزان العروض للمنظومة من خلال استعمال جملة من البحور الشعرية الصافية كبحر المتقارب والكمال والرجز، وغير الصافية كالطويل والبسيط والخفيف... وهذا التنوع في الأوزان يعد تفردا من ابن معطي، لأن أغلب أرباب المنظومات يعتمدون على وزن بحر الرجز في بناء النظم لسهولة النظم عليه.

المصادر والمراجع:

1. ابن المعتز. (1990). البديع في البديع (الإصدار 1). بيروت: دار الجيل.
2. ابن سنان الخفاجي. (1982). سر الفصاحة (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
3. ابن عبد ربه. (1984). العقد الفريد (الإصدار 1). (محمد الحبيب بن خوجة، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
4. إدريس الناقوري. (1982). المصطلح النقدي في نقد الشعر -دراسة لغوية تاريخية نقدية- (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: دار النشر المغربية.
5. الزواوي أبو يعلى. (2005). تاريخ الزواوة. (سهيل الخالدي، المحرر) الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
6. العيد جلولي. (2005). النشر الشعري الموجه للأطفال في الجزائر (الإصدار 1). الجزائر: جامعة الجزائر.
7. المظفر الحلبي. (1976). نضرة الإغريض في نصرة القريض (الإصدار 1). (نهاد عارف الحسن، المحرر) دمشق: مجمع اللغة العربية.
8. الميداني حبنكة. (1996). البلاغة العربية (الإصدار ط1). دمشق: دار القلم.
9. سلامة ابن منقذ. (1960). البديع في نقد الشعر (الإصدار 1). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
10. عبد الفتاح كليطو. (2006). الأدب والغربة دراسة بنيوية في الأدب العربي (الإصدار 3). الدار البيضاء: دار توبقال.
11. نجم الدين ابن الأثير. (1982). جوهر الكنز (الإصدار 1). الإسكندرية: منشأة المعارف.
12. يحيى بن معطي. (2014). البديع في علم البديع (الإصدار 4). (مصطفى أبو شوارب، المحرر) الكويت: مؤسسة البابطين.
13. يعقوب بديع إميل. (1991). المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.